

الإخلاص

بِرَكَّةِ الْعِلْمِ وَسِرِّ التَّوْفِيقِ

مقتولة من موقع الشيخ حملها ونسخها
إخوانكم بالبيضاء العلمية

فقد التوسطنا بطلب من البيهقي
أبها بتاريخها ٧ ربيع ثانياً بعدى ٧١ هـ ١٤٢٤

البيضاء العلمية

www.albaidha.net/vb

لفضيلة الشيخ الدكتور

أبي عبد المعز محمد علي فركوس

أستاذ بطنية العلوم الإسلامية بجامعة الجزائر



دار الموقع

العدد

٦

الإخلاق

بركة العلم وسر التوفيق

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف



يُحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد
الكتاب كاملاً أو مجزئاً أو تسجيله على أشرطة
كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته
على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة
خطية من المؤلف

الطبعة الثانية

٢٠٠٨.٥١٤٢٩ م

دار الموقف

دار الموقف للنشر والتوزيع - الجزائر العاصمة

البريد الإلكتروني: edition@ferkous.com

الموقع الرسمي للشيخ فركوس على الإنترنت: www.ferkous.com

سلسلة توجيهات سلفية

الإخلاق

بِرَكَّةِ الْعِلْمِ وَسِرِّ التَّوْفِيقِ

لفضيلة الشيخ الدكتور

أبي عبد المَعْرُوفِ مُحَمَّدَ عَلِيَّ فَرْكُوسَ

أستاذ بكلية العلوم الإسلامية بجامعة الجزائر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ

أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا

مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾

[سورة يوسف]

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ

الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴿١٢٥﴾

[النحل: ١٢٥]

مُقَدِّمَةٌ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا

وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ [سورة آل عمران].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ

مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ

بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ [سورة النساء].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾

يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ [سورة الأحزاب].

أما بعد:

فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيرَ الهديِّ هديُّ

محمَّدٍ ﷺ، وشرُّ الأمورِ محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ

بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النار.

لقد كان استكتابي للكلمة الشهرية على الإنترنت

يفرضه واجبُ القيام بالدعوة إلى الله، الثابتة الأصول

في سُنَّةِ النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - وسُنَّةِ السلف

الصالح من بعده، الذين أظهروا حُجَجَ الإسلامِ، ونشروا

محاسنهُ، ودفَعوا عنه الشُّبُهَةَ بِالْحُجَّةِ وَالْبِرْهَانِ، وَحَذَّرُوا
مِمَّا أُقْحِمَ فِيهِ مِنْ مَحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، وَضَلَالَاتِ أَهْلِ الْبِدْعِ
وَالْأَهْوَاءِ الَّتِي هِيَ سَبَبُ كُلِّ شَقَاوَةٍ، وَبِالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ
سَلَكُوا سَبِيلَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ مُصَدِّقًا لِقَوْلِهِ
تَعَالَى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا

وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسَبَّحَنَ اللَّهَ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾
[سورة يوسف]، وَجَسَّدُوا دَعْوَتَهُمْ بِأَسْلُوبِ الْحِكْمَةِ،

وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ مُصَدِّقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ

رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

هذا، وَقَدْ عَمِلْتُ فِي مَحَاوِلَةٍ لِبَلُوغِ هَذَا الْمَرْمَى، وَتَحْقِيقِ

هَذَا الْمَعْنَى، بِتَسْطِيرِ مَا يُتَرَجَّحُ أَنْ تَحْمِلَهُ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ

الشهرية من استنارة للعقول، وبيان مسالكِ الاتباعِ
وسُبلِهِ، والتنزيه من الشرك ووجوهِهِ. وقد رأيتُ من
المفيد - بعدما اجتمعت جملةٌ منها - أن أضعَهَا في رسائلِ
دعويةٍ ضَمَّنَ سلسلةً سَمَّيْتُهَا ب: «توجيهات سلفية».

واللهَ أسألُ أن يرزقنا الإخلاصَ في السرِّ والعلنِ،
وأن يعيذنا من فتنةِ القولِ والعملِ، وأن ينصرَ دينه، ويُعليَ
كلمته، ويوفِّقَ القائمين على الدعوة إلى الله بما فيه خيرُ
دينِهِم، وصلاحُ أُمَّتِهِم.

وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصَلَّى اللهُ
على مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ وإِخْوَانِهِ إلى يومِ الدِّينِ،
وسَلَّمَ تسليماً.

أبو عبد المعز محمد علي فركوس

الجزائر في: ٢٠ ربيع الثاني ١٤٢٧ هـ

الموافق ل: ١٧ مايو ٢٠٠٦ م

فضيلة العلم الشرعي والحضُّ على طلبه

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلام على مَنْ
أرسله اللهُ رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه وإخوانه
إلى يوم الدين، أما بعد:

فإنَّ اكتسابَ مادة كلِّ عِلْمٍ ينبغي أن تكونَ وفق
أُسُسٍ يبني عليها طالبُ العلم مسيرته التحصيلية،
والعلمُ الشرعيُّ لا يخرج عن هذا المعنى؛ لأنَّ الأصل
في الإنسان الجهلُ، لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ
بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [النحل: ٧٨]، لكنه

مأمور بطلبه في قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾
 [محمد: ١٩]، وقوله عز وجل: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
 الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة المائدة]،
 وكلُّ ما أمر الله عز وجل به فهو عبادةٌ، فيكون طلبُ
 العلمِ في طليعة العبادات وأجلِّها، بل جعله الله قسيماً
 للجهاد في سبيل الله^(١)، وهو منه قال الله تعالى: ﴿وَمَا
 كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ

(١) قد يُفَضَّل طلبُ العلمِ على الجهادِ أفضليَّةً مطلقةً لا بالنسبة
 للأشخاص لحاجة الناس كلِّهم إليه في كلِّ وقت، بينما يفضَّل
 الجهاد في القوي وكذا الأحوال والأزمنة والأمكنة، لذلك نقل
 عن الإمام أحمد أن: «العلم لا يعدله شيءٌ لمن صحَّت نيته»،
 وعنه قال: «الناس يحتاجون إلى العلم مثل الخبز والماء؛ لأنَّ العلم
 يحتاج إليه في كلِّ ساعة، والخبز والماء في كلِّ يوم مرة أو مرتين».

مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٣﴾ [سورة التوبة]، ذلك لأن العلم الشرعيَّ سببُ الهداية، وقائدٌ إلى تقوى الله، وسبيلُ النجاة والوقاية من النار، قال اللهُ تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحریم: ٦]، ووقاية النفس والأهل من النار إنما تكون بالإيمان والعمل الصالح، ولا يتمُّ ذلك إلا بالعلم الشرعي الصحيح حتى يتمكن من أدائه والقيام به على الوجه المطلوب شرعاً، لذلك كان من حظِّي برزقِ الله له للعلم الشرعي فقد فتح اللهُ عليه به، وأراد اللهُ به خيراً، وَمَنْ مَنَعَ فَقَدْ حُرِمَ الخَيْرُ^(١)،

(١) قال ابن حجر في «الفتح» (١/١٦٥): «ومفهوم الحديث أن من لم يتفق في الدين - أي بتعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من الفروع - =

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»^(١).

ولمَّا كان العلمُ الشرعيُّ عبادةً فإنه ينبغي طلبه ضمن هيئةٍ راسخةٍ في نفس الطالب ليؤثِّرَ بها الحقُّ والفضيلةُ، ويرغب في رفع الجهل عنه وإزالته عن غيره، وحبَّ المعروف وترسيخه، تلك الهيئةُ المطلوبةُ هي النيةُ الخالصةُ الصادقةُ التي تتكيَّفُ بها جميع الأعمالِ صحَّةً وفسادًا تبعًا لها إذ «الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ

= فقد حُرِّمَ الخَيْرُ».

(١) أخرجه البخاري في «العلم» (١ / ١٦٤) باب من يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، ومسلم في «الزكاة» (٧ / ١٢٨) باب النهي عن المسألة، من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

مَا نَوَى^(١)، والنيةُ في الطَّلَبِ يجب فيها الإخلاصُ لله سبحانه فهو شرطُ العبادة وركنُ التوحيد، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥]، وقال تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [سورة الزمر].

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في «بدء الوحي»: (٩/١) باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ومسلم في «الإمارة»: (٣٥/١٣) باب قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: إنما الأعمال بالنيات، وأبو داود في «الطلاق»: (٦٥١/٢) باب فيها عني به الطلاق والنيات، والترمذي في «الجهاد» (١٧٩/٤) باب ما جاء فيمن يقاتل رياءً وللدنيا، والنسائي في «الطهارة»: (٥٨/١) باب النية في الوضوء، وابن ماجه في «الزهد» (١٤١٣/٢) باب النية، وأحمد: (٤٣، ٢٥/١) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قاعدة الإخلاص قوام المطالب العلمية

هذا، وقاعدةُ الإخلاص في الطلب إنما تتأتى بنيةً التقرُّب إلى الله تعالى بكلِّ ما يستلزمُ محبَّته ورضاه، من العِلْمِ به سبحانه وبصفاته، وما يجب له من القيام بأمره، وتنزيهه من العيوب والنقائص، وبمعرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه في عباداته ومعاملاته، ومعرفة حلاله من حرامه، ساعياً في ذلك بعزم في رفع الجهل عن نفسه، وحفظ شريعة الله تعالى بالتعلُّم وضبط حفظه في الصدر وتقييده بالكتابة، والعمل بما حفظه وضبطه

امتثالاً لأوامر الشرع والوقوف عند حدوده؛ لأنَّ ثمرة العلم العمل، وبقاء العلم ببقاء العمل، بل هو من لوازم الإخلاص وسببُ نمائه وزيادته، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: « مَثَلُ الْعَالِمِ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ كَمَثَلِ السَّرَاجِ يُضِيءُ لِلنَّاسِ وَيُحْرِقُ نَفْسَهُ »^(١)، ذلك لأنَّ العمل هو سُكْرُ اللهِ على نعمة العلم، وقد قال تعالى: ﴿لِئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، ومن عمل بما عَلِمَ وَرَّثَهُ اللهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، وَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»: (٢/ ١٦٥، ١٦٧)، وابن أبي

شيبه في «المصنف»: (٧/ ١٨٢)، والشيباني في «الأحاديث والمثاني»:

(٤/ ٢٩٣) من حديث جندب بن عبد الله الأزدي رضي الله عنه. والحديث

صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (٢/ ٢٨٩) برقم:

بعلمه لم يكن صادقاً في طلبه وعُوقب بنسيان العلم
 وضياع معارفه وحرمانه من الخير، واستحق المقت
 والآفات، قال تعالى: ﴿ فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ
 وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا
 وَتَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ [المائدة: ١٣]، ويتبين من
 الآية أن ترك العمل بالعلم يورث فشلاً في الطلب ومحققاً
 للبركة ونسياناً ذهنياً وعملياً بترك النهوض به والقيام
 بلوازمه، قال الثوري: « العلمُ يهتفُ بالعملِ، فإنْ أجابه
 وإلا أرتحلَ »^(١)، من أجل ذلك كان الصدقُ خلقاً مقترناً
 بالإخلاص يتحلَّى به الطالبُ قبل العلم ولا يتحقق

(١) «الموافقات» للشاطبي (١/٧٥).

الارتقاءُ في مدارج الكمالِ والعلمِ إلا لصادقٍ، قال الأوزاعيُّ - رحمه الله -: « تَعَلَّمَ الصِّدْقَ قَبْلَ أَنْ تَتَعَلَّمَ الْعِلْمَ »، وقال وكيع - رحمه الله -: « هَذِهِ الصَّنْعَةُ لَا يَرْتَفِعُ فِيهَا إِلَّا صَادِقٌ »^(١).

هذا، وكما أنَّ من الإخلاص أن ينوي رفع الجهلِ عن نفسه أن يستتبعه - أيضاً - بنية رفع الجهل عن غيره، وذلك بالدعوة إلى الله تعالى بتبليغ العلم للناس وبيان ذكر الله وما نزل من الحقِّ، ونشره ليحصل به النفعُ والهدى، مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: ١٠٨]

(١) «المجموعة العلمية» لبكر (١٨٢).

اختلاف النيات في تحصيل العلم

❁ فمن صاحبه هذه النية الخالصة الصادقة بالعمل الصالح كان على هدى وبصيرة، وخيرٍ ونعمة وتقى، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [سورة محمد]، وفتح الله له أبواب الخير، وأتته الدنيا راغمة، وحصل له ثواب الآخرة، لسلامة قصده وصلاح نيته، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل]، وقال صلى الله

عليه وآله وسلّم: « مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ »^(١)،
وقال إبراهيم النخعي - رحمه الله - : « مَنْ ابْتَغَى شَيْئًا مِنْ الْعِلْمِ يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ آتَاهُ اللَّهُ مِنْهُ مَا يَكْفِيهِ »^(٢).

❁ أما من أُصِيبَتْ نِيَّتُهُ فِي صَمِيمِ صِدْقٍ طَلَبِ الْعِلْمِ بِكَدْرٍ وَزَغَلٍ، وَجَعَلَ تَحْصِيلَهُ لَهُ مَطِيَّةً لِأَغْرَاضٍ وَأَعْرَاضٍ: مِنْ طَلَبِ الدُّنْيَا وَالسَّمَالِ وَالرَّئَاسَةِ وَالظُّهُورِ وَالتَّفَوُّقِ

(١) أخرجه الترمذي في «صفة القيامة»: (٤/٦٤٢) باب (٣٠)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وأخرجه ابن ماجه في «الزهد»: (٢/١٣٧٥) باب الهمّ بالدنيا من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه.
والحديث صحّحه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢/٦٧٠)، رقم (٩٤٩، ٩٥٠).

(٢) «سنن الدارمي» (١/٨٢).

والسُّمعةَ والرِّياءَ والمحمدةَ وغيرها من المقاصد السيئة؛
فإنَّ إرادته تشوبها شوائبُ الفساد والبطلان، وتزول
من جرَّائها بركةُ العلم وترتفع خيريته، قال صَلَّى اللهُ
عليه وآله وسلَّم: « مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ
تَعَالَى، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ
يَجِدْ عَرَفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »^(١) يعني: ربحها. وفي حديثٍ
آخر: « مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ لِيُجَارِيَ
بِهِ السُّفَهَاءَ، وَيَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ، أَدْخَلَهُ اللهُ

(١) أخرجه أبو داود في «العلم» (٧١ / ٤) باب طلب العلم لغير الله
تعالى، وابن ماجه في «المقدمة» (٩٢ / ١) باب الانتفاع بالعلم
والعمل به، وابن حبان (٢٧٩ / ١) (٧٨)، والحاكم (١ / ١٦٠)
(٢٧٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والحديث صحَّحه الألباني
في صحيح «الترغيب والترهيب» (١ / ١٥٣) برقم: (١٠٥).

النَّارِ»^(١)، وقد ينال بعلمه ما يتغيه بنيته الفاسدة في إحراز دنياه، ولا يحصل منها إلا ما كُتب له، لكنّ جزاءه الفقرُ والتشتيتُ والغفلةُ والضياعُ في الدنيا، وكان عاقبةُ أمره خُسرًا، قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [سورة هود]، فمن جرد قصده إلى الدنيا يُعطيه اللهُ تعالى بعمله ثوابَ الدنيا إذا شاء سبحانه كما جاء تقييدُ الآية في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا

(١) أخرجه الترمذي في «العلم» (٣٢ / ٥)، باب ما جاء فيمن يطلب بعلمه الدنيا، وابن أبي الدنيا في «كتاب الصمت» (١ / ١٠٥) (١٤١) و«كتاب الغيبة والنميمة» (١ / ١٥) (٣) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه. والحديث صحَّحه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١ / ١٥٣) برقم: (١٠٦).

لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا
 مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١١٠﴾ [سورة الإسراء]، وليس له أن
 يطلب بالعلم الشرعي أمرًا غير ما شرع له؛ لأنه عبادة،
 ومن ابتغى بالعبادة غير ما شرعت له فقد ناقض
 الشريعة، وجزاء من ناقضها بطلانُ العمل، وقد يُعاملُ
 بنقيض مقصوده، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: « وَمَنْ
 كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ فِقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ
 شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قَدَّ قُدَّرَ لَهُ »^(١)، قال
 الحسنُ بنُ أبي الحسنِ البصري - رحمه الله -: « مَنْ طَلَبَ
 شَيْئًا مِنْ هَذَا الْعِلْمِ فَأَرَادَ بِهِ مَا عِنْدَ اللهِ يُدْرِكُ إِنْ شَاءَ

(١) تقدم تخريجه.

اللهُ، وَمَنْ أَرَادَ بِهِ الدُّنْيَا فَذَاكَ حَظُّهُ مِنْهُ» (١)؛ ذلك لأنه استعمل العبادةَ فيما لم تشرع لأجله، واتخذها مَطِيَّةً لتحصيل غَرَضِهِ، فكان ظُلماً لله في حقِّه على عباده، وتلاعباً بالشرعية بوضع الأمور في غير مواضعها، فاستوجب أن يكون أوَّلَ الناس يُقضى يوم القيامة: ثلاثة أجهدوا أنفسهم في الطاعات والعبادات ولم تنفعهم طاعتهم وعبادتهم وإنما صارت عذاباً؛ لأنهم لم يبتغوا بها وَجْهَ الله تعالى، فمن هؤلاء: «... وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتَهُ، وَقَرَأْتَ

(١) «سنن الدارمي» (١/ ٨٠).

فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ،
وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أَمْرٌ بِهِ،
فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ^(١).

❁ وَصِنْفٌ آخَرُ تَعَيَّنَتْ دَوَافِعُ طَلْبِهِ فِي غَيْرِ الْمَقَاصِدِ
الدُّنْيَوِيَّةِ، وَإِنَّمَا قَصَرَ نِيَّةَ الطَّلَبِ عَلَى تَحْصِيلِ الْعِلْمِ فِي
ذَاتِهِ، وَالظَّفَرِ بِالْحِكْمَةِ مَجْرَدَةً عَنِ الْعَمَلِ، وَهَذَا - أَيْضًا -
يَشُوْبُ صِفَاءَ الْإِخْلَاصِ بِكَدْرٍ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُخْلِصْ لِلَّهِ تَعَالَى
مِنْ جِهَةٍ، وَجَعَلَ طَلَبَ الْعِلْمِ وَسِيْلَةً لِعِبَادَةِ لَمْ تُقَرِّهَا

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «الْإِمَارَةِ» (١٣ / ٥٠) بَابِ مَنْ قَاتَلَ لِلرِّيَاءِ وَالسَّمْعَةِ
اسْتَحَقَّ النَّارَ، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْجِهَادِ» (٦ / ٣٢) بَابِ مَنْ قَاتَلَ
لِيُقَالَ فُلَانٌ جَرِيءٌ، وَالْحَاكِمُ: (١ / ١٠٧، ٢ / ١١٠)، وَالْبَيْهَقِيُّ
(٩ / ١٦٨) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

الشريعة، إذ لا يخفى أن العلم المطلوب الذي نحتاج إليه وأخبرنا الله تعالى به، وعلمنا إياه، هو: ما كان وسيلة إلى العمل به، والعمل بما يقتضيه العلم من الإيمان به والإقبال على الطاعات والقيام بها بامثال أوامره واجتناب نواهيه وغيرها من الأعمال، فإن ذلك العلم مطلوب لا في ذاته ولكن لثمرته وهي العمل به، فمن علم ولم يعمل فقد شابه اليهود المغضوب عليهم، ومن عمل بلا علم فقد شابه النصارى الضالين، ومن جمع بين العلم النافع والعمل الصالح واتصف بهما ﴿ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [سورة النساء].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: « ونظير هذا ما يُذكر أن بعض الناس بلغه أنه: «مَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا تَفَجَّرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ»^(١)، فأخلص في ظنّه أربعين صباحًا لِيَنَالَ الْحِكْمَةَ فلم يَنَلْهَا، فشكى ذلك بعضُ حُكَمَاءِ الدِّينِ فقال: إنك لم تُخْلِصْ لِلَّهِ سَبْحَانَهُ وَإِنَّمَا أَخْلَصْتَ لِلْحِكْمَةِ، يعني أن الإخلاص لله سبحانه وتعالى إرادةً وجهه، فإذا حصل ذلك حَصَلَتْ

(١) أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (١/٢٨٥) من حديث

ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/١٨٩) من

حديث أبي أيوب الأنصاري مرفوعًا. والحديث ضعّفه الألباني في

«الجامع الصغير وزيادته» (٥/١٥٥ (٥٣٧٥)) وفي «ضعيف

الترغيب والترهيب» (١/٢٠) برقم: (٦)، وفي «السلسلة الضعيفة»

(١/٥٥) برقم: (٣٨).

الحكمة تَبَعًا، فإذا كانت الحكمةُ هي المقصودةُ ابتداءً لم يقع الإخلاصُ لله سبحانه وإنما وقع ما يظنُّ أنه إخلاصٌ لله تعالى، وكذلك قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ»^(١)، فلو تواضع ليرفعه الله سبحانه لم يكن متواضعًا فإنه يكون مقصوده الرفعة وذلك ينافي التواضع»^(٢).

هذا، ومن أقوال بعض السلف في باب العمل

(١) أخرجه مسلم في «البر والصلة والآداب» (١٤١ / ١٦) باب استحباب العفو والتواضع، والترمذي في «البر والصلة» (٣٧٦ / ٤)، باب ما جاء في التواضع، وابن خزيمة في «صحيحه» (٩٧ / ٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٨٧ / ٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) «الفتاوى الكبرى» لابن تيمية (٢٧٢ / ٦).

بالعلم وحسن النية فيه قول معاذ بن جبل رضي الله عنه: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ بَعْدَ أَنْ تَعْلَمُوا فَلَنْ يَأْجُرَكُمْ اللَّهُ بِالْعِلْمِ حَتَّى تَعْمَلُوا»^(١)، وقول أبي الدرداء رضي الله عنه: «إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَا يَنْتَفِعُ بِعِلْمِهِ»^(٢)، وقال أيضاً: «مَا أَخَافُ عَلَى نَفْسِي أَنْ يُقَالَ لِي: مَا عَلِمْتَ، وَلَكِنْ أَخَافُ أَنْ يُقَالَ لِي مَاذَا عَمِلْتَ؟»^(٣).

ومع ذلك فإنَّ مُبتغي العلم المحبَّ له الطامع في

(١) أخرجه الدارمي في «سننه» (١ / ٨١)، باب العمل بالعلم وحسن النية فيه.

(٢) المصدر السابق الجزء نفسه: (٨٢).

(٣) المصدر السابق الجزء والصفحة نفسها، وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» بهذا المعنى في باب العلم (١٠ / ٢٣٨) عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

تحصيله قد يرُدُّه العلمُ إلى النيةِ الصالحةِ فيفتح اللهُ تعالى عليه بابَ العملِ والخيرِ والِنفعِ، فقد جاء عن مجاهدِ بنِ جَبْرِ - رحمه اللهُ - قوله: « طَلَبْنَا الْعِلْمَ وَمَا لَنَا فِيهِ كَبِيرُ نِيَّةٍ، ثُمَّ رَزَقَ اللَّهُ بَعْدُ فِيهِ نِيَّةً »^(١)، وقال مَعْمَرُ بنِ راشدٍ - رحمه اللهُ -: « كَانَ يُقَالُ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيَطْلُبُ الْعِلْمَ لِغَيْرِ اللَّهِ، فَيَأْبَى عَلَيْهِ الْعِلْمُ حَتَّى يَكُونَ لِلَّهِ »^(٢).

وقد ورد في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه تمثيل الانتفاع بالهدى والعلم الذي جاء

(١) أخرجه الدارمي في «سننه» (١/١٠١) باب من طلب العلم بغير نية فردّه العلم إلى النية.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٠/٢٣٩) باب العلم برقم: (٢٠٦٤٢).

عن المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَنَّ لَا يَنْتَفِعُ بِهِ
بِمَا يَقْرَبُ شَبَهًا بِأَصْحَابِ النِّيَّاتِ عَلَى اخْتِلَافِ الْبَوَاعِثِ
وَالدَّوَائِعِ فِي تَحْصِيلِ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ
الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبْلَتْ الْمَاءَ،
فَأَنْبَتَتِ الْكَلَاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ
أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا
وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيَعَانٌ^(١)
لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلَاءً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فُقِدَ فِي دِينِ
اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ

(١) جمع قاع، وهو الأرض المستوية الملساء التي لا تنبت. [«النهاية»

لابن الأثير (٤/١٣٣)، «لسان اللسان» لابن منظور (٢/٤٢٩).]

بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ» (١).

قال ابن حجر: « قال القرطبي وغيره: ضَرَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الدِّينِ مَثَلًا بِالْغَيْثِ الْعَامِّ الَّذِي يَأْتِي النَّاسَ فِي حَالِ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ، وَكَذَا كَانَ حَالُ النَّاسِ قَبْلَ مَبْعَثِهِ، فَكَمَا أَنَّ الْغَيْثَ يَحْيِي الْبَلَدَ الْمَيِّتَ فَكَذَا عَلِمُوا الدِّينَ تُحْيِي الْقَلْبَ الْمَيِّتَ، ثُمَّ شَبَّهَ السَّامِعِينَ لَهُ بِالْأَرْضِ الْمَخْتَلِفَةِ الَّتِي يَنْزِلُ بِهَا الْغَيْثُ، فَمِنْهُمْ الْعَالِمُ الْعَامِلُ الْمَعْلَمُ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْأَرْضِ

(١) أخرجه البخاري في «العلم» (١/١٧٥)، باب فضل من عَلِمَ وَعَلَّمَ، ومسلم في «الفضائل» (١٥/٤٥ - ٤٦) باب بيان مثل ما بعث به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من الهدى والعلم، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

الطَّيِّبَةُ شَرِبَتْ فَانْتَفَعَتْ فِي نَفْسِهَا وَأَنْبَتَتْ فَانْفَعَتْ غَيْرَهَا،
 وَمِنْهُمْ الْجَامِعُ لِلْعِلْمِ الْمُسْتَغْرَقُ لِرِزْمَانِهِ فِيهِ غَيْرُ أَنَّهُ لَمْ
 يَعْمَلْ بِنَوَافِلِهِ أَوْ لَمْ يَتَفَقَّهْ فِيهَا جَمْعٌ لَكِنَّهُ أَدَّاهُ لَغَيْرِهِ، فَهُوَ
 بِمَنْزِلَةِ الْأَرْضِ الَّتِي يَسْتَقَرُّ فِيهَا الْمَاءُ فَيَنْتَفِعُ النَّاسُ بِهِ،
 وَهُوَ الْمَشَارُ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ: «نَضَّرَ اللَّهُ أُمَّرَأًا سَمِعَ مَقَالَتِي
 فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا»^(١)، وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْمَعُ الْعِلْمَ فَلَا يَحْفَظُهُ
 وَلَا يَعْمَلُ بِهِ وَلَا يَنْقُلُهُ لَغَيْرِهِ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْأَرْضِ السَّبْخَةِ
 أَوْ الْمَلْسَاءِ الَّتِي لَا تَقْبَلُ الْمَاءَ أَوْ تَفْسُدُهُ عَلَى غَيْرِهَا، وَإِنَّمَا

(١) أخرجه أبو داود في «العلم» (٦٤ / ٤) باب فضل نشر العلم،
 والترمذي في «العلم» (٣٣ / ٥) باب ما جاء في الحث عن تبليغ
 السَّمْعِ، وابن ماجه في «المقدّمة» (٨٤ / ١) باب من بلغ علماً من
 حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه. والحديث صححه الألباني في «صحيح
 سنن أبي داود» برقم: (٣٦٦٠) وفي «صحيح الترغيب» برقم: (٩٠).

جمع في المثل بين الطائفتين الأوليين المحمودتين لاشتراكهما في الانتفاع بهما، وأفرد الطائفة الثالثة المذمومة لعدم النفع بها^(١).



(١) «فتح الباري» لابن حجر (١/ ١٧٧).

سمة محقق الإخلاص

هذا، ومن علامات محقق الإخلاص والصدق:

❁ أن يُحِبَّ الدِّينَ ويعمَلَ على التواصي بالحقِّ والصبر عليه، وإذا ما خُيِّرَ بين أمرين عُرِضَا عليه: أحدهما لله، والآخر للدنيا، اختار نصيبه من الله وآثره على الدنيا لفنائها وبقاء الآخرة، وهو يعلم أن الباقية خير من الفانية، ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ [الضحى: ٤]، ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [الأعلى: ١٧]، ﴿قُلْ مَتَّعْتُ الدُّنْيَا قَلِيلًا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [النساء: ٧٧].

❁ أن ترضيه كلمة الحق له أو عليه، وتغضبه كلمة

الباطل له أو عليه، فهو لا يعمل لنفسه، وإنما يسعى

لإرضاء ربه سبحانه، ولو أدى ذلك إلى سخط الناس

عليه وسقوط قدره في قلوبهم، وصغره في أعينهم من

أجل إصلاح قلبه مع الله تعالى، «وَالْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ

الْعَمَلِ»، و«المُعَامَلَةُ بِنَقِيضِ الْقَصْدِ»، قال صَلَّى اللهُ

عليه وآله وَسَلَّمَ: «مَنْ أَرْضَى اللهُ بِسَخَطِ النَّاسِ، كَفَّاهُ

اللهُ النَّاسَ، وَمَنْ أَسَخَطَ اللهُ بِرِضَى النَّاسِ، وَكَلَّهُ اللهُ

إِلَى النَّاسِ»^(١)، قال ابن القيم - رحمه الله -: «لَمَّا كَانَ

(١) أخرجه ابن حبان في «الإمارة» برقم: (١٥٤١) باب فيمن يرضي

الله بسخط الناس، والبغوي في «شرح السنة» في «الرقاق»

(٤١٢/١٤) باب: قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ =

المتزيّنُ بما ليس فيه ضدَّ المخلصِ؛ فإنه يُظهِرُ للناسِ
 أمرًا، وهو في الباطن بخلافه، عاملاً بنقيض قصده،
 فإنَّ المعاقبة بنقيضِ القصدِ ثابتةٌ شرعًا وقدرًا، ولَمَّا
 كان المخلصُ يُعَجَّلُ له من ثواب إخلاصه الحلاوة
 والمحبة في قلوب العباد، عَجَّلَ للمتزيّن بما ليس فيه
 من عقوبته أن شانه الله بين الناس؛ لأنّه شان باطنه
 عند الله، وهذا مُوجِبُ أسماءِ الربِّ الحُسنى وصفاته
 العُليا وحِكْمَتِهِ في قضائِهِ»^(١).

❁ أن يكره المخلصُ أن يطلّعَ غيره على عمله أو

= وَأَخْشَوْنَ ﴿ من حديث عائشة رضي الله عنها والحديث صححه الألباني

في «السلسلة الصحيحة» (٥/٣٩٢) برقم: (٢٣١١).

(١) «أعلام الموقعين» لابن القيم (٢/١٨٠).

يُنسَبَ إليه، قال الشافعي - رحمه الله -: « وَدِدْتُ أَنْ الْخَلْقَ
تَعَلَّمُوا هَذَا الْعِلْمَ عَلَى أَلَّا يُنْسَبَ إِلَيَّ مِنْهُ حَرْفٌ »^(١).

❁ وَأَنْ يَوَدَّ - فِي مِيدَانِ تَعْلِيمِ النَّاسِ الْخَيْرِ وَإِفْتَائِهِمْ
بِالْحَقِّ - أَنْ يَكْفِيَهُ غَيْرُهُ مَوْوَنَةَ الْفُتُوَى وَالْبَيَانَ، وَإِذَا
اسْتَوْجَبَ الْمَقَامَ تَصَدَّقَ لِلْفُتُوَى وَالتَّوْجِيهِ حَرَصَ عَلَى
تَجَرُّدِهِ لِلْحَقِّ بِسُلُوكِ سَبِيلِهِ، مُعْرِضًا عَنِ حِظْوِظِ النَّفْسِ
وَالْإِعْتِرَازِ بِهَا، مَتَرَفِّعًا عَنِ الْهَوَى وَشِرَآكِهِ.

❁ وَإِنْ خَاصِمٌ غَيْرُهُ فَلَا يَعْمَلُ عَلَى غَلْبَةِ خَصْمِهِ
بِالشَّبَهَاتِ وَالْبَاطِلِ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ التَّقْوَى

(١) انظر: «حلية الأولياء» للأصفهاني (٨٨/٩)، و«الإحياء» للغزالي

(١/٢٦)، و«صفة الصفوة» لابن الجوزي (٢/٢٥١)، و«جامع

العلوم والحكم» لابن رجب (١/٢٣).

والإخلاص، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ - وَهُوَ يَعْلَمُهُ - لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللهِ حَتَّى يَنْزِعَ عَنْهُ»^(١)، وإنما يتمنى أن يُظهِرَ اللهُ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ مُنَاطِرِهِ، قال الشافعيُّ - رحمه الله -: «ما ناظرتُ أحداً قطُّ إلاَّ أحببتُ أن يُوفَّقَ وَيُسَدَّدَ وَيُعَانَ، ويكون عليه رعاية من الله وحفظ، وما ناظرتُ أحداً إلاَّ ولم أُبالِ بَيْنَ»

(١) أخرجه أبو داود في «الأقضية» (٢٣/٤) باب فيمن يعين على خصومة من غير أن يعلم أمرها، والحاكم في «المستدرک» (٢٧/٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨٢/٦) وفي «شعب الإيمان» (٣٠٤/٥)، وأحمد في «مسنده» (٧٠/٢) من حديث عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما، والحديث صحَّحه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١٧٨/٢/١) برقم: (٤٣٨) وفي «صحيح سنن أبي داود»: (٣٩٦/٢) (٣٥٩٧).

اللهُ الحقُّ على لساني أو لسانيه»^(١).

وذكر أبو حامد الغزالي علاماتٍ أخرى للصادق

المخلص حيث قال: «فاعلم أنّ لذلك علامات:

• إحداهما: إنه لو ظهرَ من هو أحسنُ منه وَعَظًّا

أو أَغْزَرُ منه عِلْمًا، والناس له أشدُّ قبولًا، فرح به ولم

يحسده...

• والأخرى: إنّ الأكابر إذا حضروا مجلسه لَمْ

يتغيّر كلامه بل بقي كما كان عليه، فينظر إلى الخلق

بعينٍ واحدةٍ.

(١) «حلية الأولياء» للأصفهاني (٨٨/٩)، و«الإحياء» للغزالي

(٢٦/١)، و«صفة الصفوة» لابن الجوزي (٥١/٢)، و«فيض

القدير» للمناوي (٩٠/٣).

• والأخرى: أن لا يحبَّ اتباعَ الناس له في الطريق،

والمشي خلفه في الأسواق، ولذلك علامات كثيرة يطول

إحصاؤها»^(١).



(١) «إحياء علوم الدين» للغزالي (٣/٣٢٩).

مشقة الإخلاص في تثبيت تحول القلب

إِنَّ الصَّدْقَ فِي الإِخْلَاصِ أَشَقُّ الأَعْمَالِ صَعُوبَةً
 عَلَى النَفْسِ، وَأَشَدُّهَا عَلَى القَلْبِ لِاسْتِبْقَائِهِ سَالِمًا مِنْ
 المَقَاصِدِ السَّيِّئَةِ، بَعِيدًا عَنْ أَغْرَاضِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا؛
 ذَلِكَ لِأَنَّ القُلُوبَ كَثِيرَةً التَّقَلُّبِ وَالتَّحَوُّلِ فِي نَوَايِهَا
 وَقَصُودِهَا، فَلَا تَثْبُتُ عَلَى حَالٍ، لِذَلِكَ بَيْنَ النَّبِيِّ صَلَّى
 اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَقِيقَةُ تَحَوُّلِ القَلْبِ فِي وَجْهَتِهِ
 وَقَصْدِهِ، فَكَثِيرًا مَا كَانَ يَدْعُو بِالتَّثْبِيتِ عَلَى الدِّينِ حَيْثُ
 قَالَ: «مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا وَهُوَ مُعَلَّقٌ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ

الرَّحْمَنِ، إِنَّ شَاءَ أَقَامَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ، وَالْمِيزَانَ بِيَدِ
الرَّحْمَنِ، يَرْفَعُ أَقْوَامًا، وَيَخْفِضُ آخَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(١)،
وكان يقول في دعائه: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى
دِينِكَ»^(٢)، وَيُكْثِرُ فِي قَسَمِهِ عِبَارَةً: «لَا، وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ»^(٣).

(١) أخرجه ابن ماجه في «المقدمة» (٧٢ / ١) باب فيما أنكرت الجهمية،
وابن حبان في «صحيحه» (٢٢٢ / ٣)، والحاكم في «مستدرکه»
(٧٠٦ / ١، ٣٥٧ / ٤)، وأحمد في «مسنده» (١٨٢ / ٤) من حديث
النواس بن سمعان الكلبي رضي الله عنه، والحديث صححه الألباني في
«ظلال الجنة» (٩٨ / ١) (٢١٩)، وفي «صحيح ابن ماجه»
(١٦٦) ٨٦ / ١).

(٢) جزء من حديث نواس بن سمعان السابق. انظر المصادر الحديثية
السابقة).

(٣) أخرجه البخاري في «الأيمان والندور» (٥٣٢ / ١١) باب كيف
كانت يمين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأبو داود في «الأيمان» =

فالإخلاصُ شديدٌ، وقد لاقى كثيرٌ من العلماء
والصالحين معاناةً لعلاج نيتهم به، فيؤثر عن سفيان
الثوري - رحمه الله - أنه قال: « مَا عَالَجْتُ شَيْئًا أَشَدَّ
عَلَيَّ مِنْ نَيْتِي، إِنَّهَا تَتَقَلَّبُ عَلَيَّ »^(١)، وسأل الفضلُ بنُ زيادٍ
- رحمه الله - الإمامَ أحمدَ - رحمه الله - فقال: « كيف النية؟

= والنذور»: (٥٧٧ / ٣) باب ما جاء في يمين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ وَسَلَّمَ ما كانت؟ والترمذي في «الأيان والنذور»: (١١٣ / ٤)
باب ما جاء كيف كان يمين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ،
والنسائي في «الأيان والنذور»: (٢ / ٧)، من حديث عبد الله بن
عمر رضي الله عنهما.

(١) «حلية الأولياء» للأصفهاني: (٥ / ٧، ٦٢)، «الجامع لأخلاق
الراوي» للبيهقي: (٣١٧ / ١)، «جامع العلوم والحكم» لابن
رجب: (١٣ / ١).

قال أحمد: يُعَالِجُ نَفْسَهُ إِذَا أَرَادَ عَمَلًا يُرِيدُ بِهِ النَّاسَ ^(١).
 وَلَمَّا كَانَتْ النَّفْسُ بِطَبْعِهَا تَمِيلُ إِلَى الشَّرِّ، وَتَفِرُّ
 مِنَ الْخَيْرِ، وَتَأْمُرُ بِالسُّوءِ، وَتَنْجَرِفُ مَعَ الْهَوَى، وَتَرْكُنُ إِلَى
 الشَّهَوَاتِ، وَالْعَبْدُ قَدْ يُؤْتَى مِنْ جَهْلِهِ أَوْ مِنْ قِلَّةِ حَذَرِهِ
 كَانَ لَزَامًا عَلَيْهِ مَعْرِفَةُ مَا يَضَادُّ الْإِخْلَاصَ وَيَنَافِيهِ لِيَتَحَرَّزَ
 مِنْهُ، وَيَعْمَلَ عَلَى أَنْ يَأْخُذَ نَفْسَهُ بِمِرَاقِبَةِ اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى
 يَتَيَقَّنَ أَنَّهُ سَبْحَانَهُ عَالِمٌ بِسِرِّهِ، رَقِيبٌ عَلَى أَعْمَالِهِ، شَاعِرٌ
 بِالرَّاحَةِ فِي الْإِسْتِعَانَةِ بِهِ وَعَلَى طَاعَتِهِ، مُحْسِنٌ بِالْأَنْسِ فِي
 ذِكْرِهِ وَالتَّعَوُّذِ بِهِ مِنْ كُلِّ قَبِيحَةٍ وَرَذِيلَةٍ، وَيَعْمَلَ عَلَى
 مَحَاسِبَةِ نَفْسِهِ عَلَى عَمَلِ يَوْمِهِ، فَإِنْ رَأَى ظُلْمًا نَدِمَ عَلَيْهِ،
 وَاسْتَغْفَرَ وَأَنَابَ، وَعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَرَاهُ مُصْلِحًا لِمَا

(١) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب: (١٠/١).

أفسدَ، في تواصلٍ وصَبْرٍ - جهادًا في ذات الله سبحانه -
 لتطهَّرَ نفسه وتزكَّوْ حتى يصبحَ أهلًا لكرامة الله ورضاه،
 ويسلك بها سبيل المؤمنين المخلصين الصادقين من أهل
 الصبر واليقين مقتديًا بهم ومقتفياً آثارهم.

نسأل الله تعالى أن يهبنا العلمَ والإيمانَ، وهما
 أسمى هِباتِ الرحمن، وأهلها هم خُلاصةُ الوجود
 ولُّبُه، وأهل التأهيل للمراتب العُليا والدرجات الرفيعة.
 قال ابن القيم - رحمه الله -: «أفضلُ ما اكتسبته
 النفوسُ، وحصَلتُهُ القلوبُ، ونال به العبدُ الرِّفعةَ في
 الدنيا والآخرة هو العلمُ والإيمانُ، ولهذا قرَنَ بينهما
 سبحانه في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ
 لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ ﴾ [الروم: ٥٦]،

وقوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُتُوا
الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(١) [المجادلة: ١١].

نسأل الله تعالى أن يعصمنا من الخطأ والزَّلَلِ، وأن
يوفقنا إلى حقِّ العلم وخيرِ العِلْمِ وأكملِ العملِ، إنه وليُّ
ذلك والقادرُ عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، وصَلَّى اللهُ
على مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ وصحبه وإخوانه إلى يومِ الدِّينِ،
وسَلَّمَ تسليماً.

أبو عبد المعز محمد علي فركوس

الجزائر في: ٢٤ من ذي الحجة ١٤٢٧ هـ

الموافق ل: ١٣ يناير ٢٠٠٧ م

(١) «الفوائد» لابن القيم: (١٠٣).

المحتويات

الموضوع	الصفحة
❁ مقدمة.....	٧
❁ فضيلة العلم والحضّ على طلبه.....	١١
♦ الأصل في الإنسان الجهل.....	١١
♦ كلّ ما أمر الله به فهو عبادة.....	١٢
♦ أفضلية العلم مطلقة لا نسبية.....	١٢
♦ العلم الشرعي سبيل النجاة.....	١٣
♦ صفة طلب العلم الشرعي.....	١٤
♦ تكييف الأعمال بالنيات.....	١٤
♦ الإخلاص شرط العبادة وركن التوحيد.....	١٥

- ❁ قاعدة الإخلاص قوام المطالب العلمية ١٦
- ◆ رفع الجهل عن النفس بالتعلم ١٦
- ◆ العمل بما حفظه وضبطه ١٦
- ◆ العمل من لوازم الإخلاص ١٧
- ◆ جزاء من عمل بالعلم ومن أهمله ١٧
- ◆ الصدق خلق مقترن بالإخلاص ٢٠
- ◆ رفع الجهل عن غيره بالدعوة والتبليغ ١٩
- ◆ رسالة الداعي إلى الله ودعوته ١٩
- ❁ اختلاف النيات في تحصيل العلم ٢١
- ◆ صاحب النية الخالصة وجزاؤه ٢١
- ◆ صاحب النية الفاسدة وجزاؤه ٢٢
- ◆ من ابتغى بالعبادة غير ما شرعت له فقد ناقض الشريعة ٢٥
- ◆ صاحب نية تحصيل العلم لذاته ٢٧
- ◆ العلم المطلوب الذي نحتاج إليه ٢٨

- ♦ في العلم بلا عمل، والعمل بدون علم مشابهة لليهود والنصارى ٢٨
- ♦ تمثيل ابن تيمية - رحمه الله - لمن جعل الحكمة مقصده ابتداءً.... ٢٩
- ♦ تبعية الحكمة للإخلاص ٢٩ - ٣٠
- ♦ من أقوال السلف في باب العمل بالعلم وحسن النية فيه ٣٠
- ♦ مبتغي العلم قد يردُّه العلم إلى النية الصالحة ٣١
- ♦ تمثيل الانتفاع بالهدى والعلم ممن لا ينتفع به من حديث أبي موسى الأشعري بما يقرب شبهًا بأصحاب النيات المختلفة.. ٣٢
- ♦ سمة محقق الإخلاص ٣٧
- ♦ حبه للدين والتواصي بالحق والصبر عليه ٣٧
- ♦ ترضيه كلمة الحق له أو عليه، وتغضبه كلمة الباطل له أو عليه ٣٨
- ♦ «الجزاء من جنس العمل» و«المعاملة بنقيض القصد» وتمثيل ابن القيم - رحمه الله - لمعنى القاعدتين ٣٨

صدر عن المؤلف

لجوبته فقهيته ضمن سلسلة ليتفقوا في الدين

المُنْبِيتُ

فِي

تَوْضِيحِ مَا اشْكُرُكَ مِنَ الرُّقِيَّةِ

تأليف

فضيلة الشيخ الدكتور

أبي عبد العزيز محمد علي فركون

أستاذ بكلية العلوم الإسلامية بجامعة الجزائر



طبعة منقحة ومزينة

العدد
٦

سيصدر قريبا إن شاء الله

الانسان بشرح كتاب الاستقامة

فضيلة الشيخ الدكتور

أبي عبد الله محمد علي فركوس

أستاذ بكلية العلوم الإسلامية بجامعة الجزائر



صدر من سلسلة توجيهات سلفية

- ١ المنطق الأرسطي
وأثر اختلاطه بالعلوم الشرعية
- ٢ شرك النصارى
وأثره على أمة الإسلام
- ٣ تربية الأولاد
وأسس تأهيلهم
- ٤ العلمانية
حقيقتها وخطورتها
- ٥ نصيحة إلى طبيب مسلم
ضمن ضوابط شرعية يلتزم بها في عيادته
- ٦ الإخلاص
بركة العلم وسرّ التوفيق
- ٧ الإصلاح النفسى للفرد
أساس صلاحه وصلاح أمة
- ٨ منهج اهل السنة والجماعة
في الحكم بالكفر بين الإفراط والتفريط
- ٩ حكم الاحتفال بمولد خير الأنام
عليه الصلاة والسلام
- ١٠ دعوى نسبة التشبيه والتجسيم
لابن تيمية وبرائته من ترويج المغرضين لها

